

رضع زوجي بعد طول صراع أن يستدين لسافر هذا الصيف. وهل كان يتوقع مني تحمل حرارة صفنا وشوائه اللاهب؟ أخذت نفساً عميقاً وأنا داخل معركة جديدة أعرف نتائجها سلفاً. تعبأت بالصبر وطول البال وزاد (الدق) حتى تفككت أو صالة واستجاب للطليبي. لم أكن من أولئك النسوة اللاتي بينَ بسرعة وبأنف امرأة خبيرة العزة والحمية عرفت مداخل زوجي ومخارجه. وكلُّ مسرب من مساريه كنت أملك سدادته ومفاتيحه بيدي. ألوح بها متى أشاء وكيفما أشاء مرحباً بكم على خطوط الطيران الماليزي. الرحلة تستغرق سبع ساعات مع توقف في باكستان». حين خلقت بنا الطائرة استرخيت على الكرسي. شعرت بالراحة العميقة بعد فلق عظيم. كنت خائفة أن تسمت بي جاراتي وصديقاتي حين يلغي زوجي فكرة السفر من أجندته. أقسم علي ألا أبقى تحت شمس هذا الصيف. محتار إلى أين يسافر بي!! أريد أن أسافر. ومنذ ذلك الوقت بدأت معركة أشد من (درع الجزيرة). سقطت رايته. وانبسطت قلاعهُ وحُصوته المنيعة أمام هديري الكاسح الذي دأيت عليه ليل نهار، كان يظن منوهمًا أنني سأستسلم للواقع. وها أنا في مقعدي في الطائرة. لا أصدق نفسي!! كم كنت أحمُ بالسفر البعيد والتجوال حول العالم. أشاهد (دانية الخطيب) وقافلتها في رحلاتها المختلفة فأعص أناملي فهِراً وغيظاً، وأنظرُ إلى زوجي الفقير، وأنحسر لماذا لا تتحقق أحلامنا الكثيرة منذ وعيت على الدنيا وأحلامي مسروقة أو مبسورة. حلمت بإكمال دراستي وأن أصبح طبيبة مشهورة، بين جدران بيتي المكتيب. تخيلت زوج المستقبل غنياً سيحملني على كفوف الراحة فإذا أنا خادمة في بيت أبيه الكبير. رضيت به وأردته زوجاً يصنع من المتع الصغيرة أفراحاً كبيرة فإذا به لا يعرف شرقاً الأرض من غربها. للغاية!! كلُّ أحلامي بعيدة. سموات المستحيل. أوروبا. يردد لا حول ولا قوة إلا بالله أطبق بيده على فمي، وهو يحول ويتيم عبارات، لم يرغب مزاجي الرائق في فك رموزها كعادتي معه. ربما لا تصدقني الجارات؛ يا. رحلة طويلة، كل شيء يهون من أجل إغاظة (علياء) أريد أن يتعكر مزاجها ويسوه يومها. كانت دائماً بدا لي، في المدرسة والحي، وحين تزوجت، لم يسر وجودي في ظل (علياء) كانت العيون لا ترى إلا جمالها. ولا تتبّع إلا أخبارها، وحين تزوجت. كان زواجها حلم كل فتاة. أما أنا فكان زواجي تقليدياً. لم أفرح ولم أحزن. حتى زوجي لم يظهر أي شعور بنشوة الانتصار، بأنه فاز بي من دون شباب الحي، لو كان فعلها لما جعلتها ندا لي في عقلي وحياتي. كانت تتعمد زيارتي دائماً لإغاضتي والنيكابة بي. انتبهنا على صوت قائد الطائرة. – هل نحن نسير في الشارع؟ من أين جاءت هذه المطبات؟ – اذكرني الله. لم أنتظر الد. بدأت اسمع صراخاً وألغطاً. الأطفال الذين شرعوا في البكاء. وساد المكان توثر شديد. عاد صوت قائد الطائرة يدعونا للتمسك جيداً. بعض الركاب بدؤوا يسمون ويحولون. إذن. السابقة. شعرنا بالملان. كان المطر يهطل في الخارج. ونحن الآن بين سماء وأرض علبة حديدية. صدري والتصق بضلوعي. انكمشت كفارة مدعورة. كنت أنظر إلى زوجي بعينين ففرنا من محجرهما. وتلون بكل الألوان إلا لون الحياة. قرأت الخوف والذعر على وجه زوجي الذي أمسك بيدي، وبدأ يقرأ ويردد الآيات والأدعية. أمسك بي الأعر ولقيني كيف شاء. وأورق في صدري المرعوب: اللهم اغفر لي. سيغفر ماذا؟ ما أكثر دنوبي وأبشعها؟ أه. ليتني ما تطاولت على زوجي المسكين، لكنه سيكون شهيداً. لا أذكر أنه ضربني يوماً أو أهانني. ليتهُ فعل وضربني. فما كان سيحدث ما حدث. ليتهُ أوقفني عند حدّي، وفعل مثل ما فعل أبي بأمي حين عائلته، إذ أمسك بحزامه، سامحني يا علياء. سقطت عيناى على زوجي. لا يزال يقرأ الآيات. شعرت بمعص شديد ورغبة في التقوى. رجة جديدة. «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وأنها وسعت بغياً سكت كلها الماء، ولكنني لم است زوجي سوى الهم والنكد والدل: يارب سامحني. توبة نصوحاً لا أعود بعدها أبداً. يا ويلي لو ميت وأنا على هذه الحال. بدأت اتشهد لا أدري كم مر من الوقت حتى انساب صوت قائد الطائرة يُبشّرنا بتجاوز المطبات شعرت بجئو غريب على زوجي الحبيب. كان خالفاً علي وظل يُرقيني بآيات الله ويهدي من روعي حاولت أن أغيبض عيني، الساعة جاوزت الرابعة فجراً. كانت مدينة مستيقظة تحت زناة الندى، وقطرات المطر المبكر. كان منظرًا خلّاباً. اليوت الخشبية بأسقفها الحمر. حملت (الكاميرا) وبدأت أصور. هبطت الطائرة في مطار العاصمة. أخذت عجلاتها تنزل على أرض المدرج الواسع حتى استقرت. في مثل هذا الصباح التنظيف. انتقلنا بواسطة القطار للجهة الثانية من المطار. لاحظ زوجي انشغالي في البحث. لم أرد. انطلقت نحو كبينة الهاتف العمومي.